

أضواء البيان

@ 57 @ .

وأما كونهم قد أتوا على تلك القرية المذكورة ، فقد جاء موضحاً أيضاً في غير هذا
الموضع ؛ كقوله تعالى : { وَإِنَّكُمْ لَسْتُمْ مُرْسُونَ عَلَيْهِمْ مَّصْبِحِينَ *
وَبِالْصَّبْرِ أَفْلَا تَعْقِلُونَ } ، والمراد بأنهم مرّوا على قرية قوم لوط ، وأن
مرورهم عليها ، ورأيهم لها خالية من أهلها ليس فيها داع ، ولا مجيب ؛ لأن اللّٰه أهلك
أهلها جميعاً لكفرهم وتكذيبهم رسوله لوطاً ، فيه أكبر واعظ وأعظم زاجر عن تكذيب نبيّنا
محمد صلى الله عليه وسلم ، لئلاّ ينزل بالذين كذبوه مثل ما نزل بقوم لوط من العذاب
والهلاك ، وبذا وبّخهم على عدم الاعتبار بما أنزل بها من العذاب ؛ كقوله في آية (
الصفّات) المذكورة : { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } ، وكقوله تعالى في آية (الفرقان) هذه
: { أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرَوْنَهَا نُشُورًا } ، فقوله :
{ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا } توبيخ لهم على عدم الاعتبار ؛ كقوله في الآية الأخرى
: { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } ، ومعلوم أنهم يمرّون عليها مصبحين ، وبالليل وأنهم يرونها ؛
وكقوله تعالى : { وَأَمْ طَرَفُنَا عَلَيْهِمْ حَرَجَارَةٌ مِّنْ سَجِيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهُمْ لَبِئْسَ لِبَدٍ لَّيْلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَوْفًا مَّصِيرًا } ، يمرّون فيه عليها في سفرهم إلى الشام ، وقوله
تعالى : { بَلْ كَانُوا لَا يَرَوْنَهَا نُشُورًا } ، أي : لا يخافون بعثاً ولا جزاء ، أو
لا يرجون بعثاً وثواباً . { وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا
أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا
لَوْلَا أَن مَّصِيرَنَا عَلَيْهِمْ } . تقدّم إيضاحه في سورة (الأنبياء) ، في الكلام على
قوله تعالى : { وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا
أَهَٰذَا الَّذِي يَدْعُونَكَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ } ، وما قالوه هنا من أنهم صبروا على آلهتهم ، بيّن في سورة (ص) أن بعضهم أمر به
بعضاً ، في قوله تعالى : { وَانطَلَقَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا
عَلَيْهِمْ } . . .

7 ! { أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ } أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِمْ
وَكَيْلًا } . قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : { أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ
إِلَٰهَهُ هَوَاهُ } ، أي : مهما استحسّن من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه كان دينه ومذهبه

، إلى أن قال : قال ابن عباس : كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً ، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول ، اه منه .